

قبيلة من مخورٍ وأسلاف

كيف انتميت وأعطيتَ الجلالَ مدَى؟

وقد حملتَ على أكتافِك الأبدانَ !

كأنَّما هـذه الأجرُ أزمينةٌ

رُصِّتْ على بعضها حتى استوتْ جسدًا

نَعُدُّها حينما نرقى مدارجها

وننثني دون أنْ نُحصي لها عددًا

وما بَحَثْنَا عن الأسلافِ في حجرٍ

إلا صحا زمنٌ يحكي بما شهـدا

غابَ الجدودُ وما غابتْ حقيقتُهُم

فلم يزلْ صَوْتُهُم بالصَّخرِ مُتَّحِدًا

فيا رهينَ الليالي في سكينتهـ

يَعِيشُ كَالنَّاسِ إِنَّ سَعْدًا وَإِنْ نَكَدًا

قَبِيلَةٌ مِنْ صُخُورٍ أَنْتَ، أُمُّ بَشَّارٍ

تَوَطَّأْنَا هَذِهِ الْأَكَامَ وَالنَّجْدَا؟!

يَا مَنْ يُسَمِّرُ فِي الْعِلْيَاءِ نَاطِرَهُ

كَأَزَّهٍ يُتَهَجَّى الْأَنْجَمَ الرَّصَدَا

كَأَزَّهٍ مِنْ أَعَالِيهِ يُطِلُّ عَلَى

نَبْوَةٍ، يَجْتَلِي فِيهَا الْمَصِيرَ غَدَا

كَيْفَ انْتَصَيْتَ؟! وَمِنْ أَهْدَاكَ هَيْبَتَهُ

كِي تَكْتَسِي جَبْرُوتًا مُطْلَقًا صَمَدَا؟!

هَلْ مَسَّكَ الْجِنُّ؟! أَمْ أَلْقَتْ مَلَائِكَةٌ

عَلَيْكَ مَا أُوتِيَتْ مِنْ رَبِّهَا مَدَدَا؟!

وَأَنْتَ.. هَلْ تَنْتَمِي لِلْأَرْضِ مُنْغَرَسًا

فِيهَا، تُجَسِّدُ مِنْ أَوْتَادِهَا وَتَدَا؟!

أم° تنتمي للأعالي دَدَّ أن° رفعت°

بِكَ السماواتُ، من عمدانها عمدا؟!!

أم° أنتَ في حيرةٍ صَمَّاءَ بينَهما؟

صَيَّعتَ ذاتكَ في رجب الفضاءِ سُدى!

مسافرٌ في تضاريسِ الشرودِ إلى

لا أينَ، تضربُ في الآفاقِ مُجتهدًا!

مُشَرِّدٌ مثلما الإنسانُ؛ مُلتبسٌ

في الانتماء، ولم تَمَسَّكَ نارٌ هُدى

أُصغي إلى صَمَتِكَ الدهريِّ يهمسُ لي

مَن° لم يجد° ذاتَه° فيه° فلن يجدًا!

يا مَن° يُرَبِّي قُرانا في صلابتهِ

نَهَجًا عليه يُرَبِّي الوالدُ الولدًا

نُصغي لأسرارِكَ العُظمى ونرصدُها

فهل تُحسُّ بِمَنٍ أَصغَى وَمَنٍ رَمَدَا؟!!

ويا مخورًا قرأنا في ملامحها

ملامح الأهلِ تاريخًا ومُستندًا

هذي الجلاميدُ أسفارُ مُكدِّسةٌ

تشتاقُ لو لامستْ عقلاً وليسَ يدًا

نَجولُ عَبركَ في أغوارِ مكتبةٍ

من التراثِ، ولا ندرِي لها أمدًا

يقالُ: ما برحتُ بئرُ الحياةِ هنا

نَصِّحنا ما روتُ من مائها أحدا!

يقالُ: إنَّ لها سحرًا تمسُّ به

مَن ذاقها فيعيشَ الخلدَ والأبدا!

يا حارسَ البئرِ.. لا بئرُ ولا حارسُ

لكنَّه الوهْمُ في أذهاننا اتَّقدا

فانضحْ بعذركَ عُشَّاقَ السرابِ إذا

تَخَيَّرَ لَأُوكَ مُقَرِّمًا تَحْرُسُ الزَّوْبَدَا

لو أنَّ دَمَّ عَيْ شَهِيدٍ حِينَ أَذْرُفُهُ

لم أُحْصِرْ مَا ذَرَفَتْ عَيْنِي مِنَ الشُّهُدَا!

تَشَوَّوْ فَتَ لَكَ فِي نَجْوَى خَاطِرَةٍ

فَأَشْوَغَلَتْ نِي خِيَالًا زَيْتُهُ نَفْرَدَا

أرى كهوفَكَ في نفسي فأدخلُها

لكي أضيءَ من الأعماقِ ما خَمَدَا

كأنَّما كلُّ كَهْفٍ فيكَ صومعةٌ

في النفسِ، تمنحُني الإيمانَ والرَّشَدَا

يا توأمَ الشمسِ قِدمًا.. منذُ أنْ سَكَبَتْ

عليكَ أَوَّلَ ضِوَاءِ فِي المدى وُلِدَا!

ما زلتَ والفجرَ مغمورًا ببهجتِهِ

حتى تأخيتُما نُورًا وسحرَ ندى

تغفو على سررك الصخريِّ مُلتحِفًا

عُريَّ الطبيعةِ .. بالمجهولِ مُحْتَشِدًا

وللفصولِ على سفحيك معركةٌ

شعواءٌ تُفني عديدَ الوقتِ، والعُددًا

وأنتِ ساهٍ عن الغاراتِ متَّكئٌ

عليك، لا تشتكي برديًا ولا صهَدًا

من طُـولِ بالكِ طالتهُ منك شاهقةٌ

علياءٌ تمتدُّ صبرًا .. ترتقي جَلَدًا!

إذا اختلسنا لك الرؤيا تخَطُّفنا

برقُ الشموخِ فعُدنا نشتكي الرِّمَدًا

تُعشي حقيقتك الطُّولى محاجرنا

من فرط ما تحرقُ الآفاقَ مُتَّـقِدًا

هذي مراياك؛ تستجلي ضالتنا

فيها، وتجلوك من صَوِّانها أسَدًا

هُنَا جُذُورُكَ تَرَسُو فِي جَوَانِحِنَا

مَهْمَا جَبِينُكَ فِي عَلِيَّائِهِ ابْتَعَدَا

يَا عَاكِفًا فِي رِحَابِ الْغَيْبِ مُنْتَبِذًا

مِنَ السَّمَاوَاتِ وَجَهًّا وَاحِدًا أَحَدًا

تَحْنُو الْغَمَامَةُ إِنْ حَامَتْ بِقِمِّتِهِ

حَتَّى تَلْفَسَ عَلَيْهِ الزُّنْدَ وَالْعَصْفُودَا

مَا أَنْفَكُ يَغْرِفُ مِنْ جَوْفِ السَّحَابِ لَهُ

مَاءَ الْوُضُوءِ وَيُحْيِي الْوَرْدَ مُنْفَرِدَا

لَا زَعَزَعَاتُهُ رِيَّاحُ الشُّكِّ عَادِيَةٌ

وَلَا أَصَابَتُهُ فِي مَكْنُونٍ مَا اعْتَقَدَا

شَيْخٌ عَلَى الْأُفُقِ مَا زَالَتْ عِمَامَتُهُ

شَمْسًا، تَسْبِحُ فِي مَعْرَاجِهَا مُعُودَا

رَاسٍ؛ إِذَا اضْطَرَبَتْ فِيهِ هَوَاجِسُهُ

صَلِّىْ بِهَا، وَعَلَى إِيمَانِهِ اسْتَنْدَادًا

يَا نَاسِكًا فِي رِحَابِ الْغَيْبِ مَنْقُطِعًا

كَأَنَّه يُتَلَفَّسَى مِنْ عُلَاهُ نِيدًا

بِمَثَلِ صَمْتِكَ هَذَا مَا جَرَى نُسُكُ

وَلَا إِلَهِهُ بِهَذَا الْعُمُقِ مَا أُعِيدًا!

مَاذَا تَلَمَّسْتَ فِي الْعُلْيَاءِ مِنْ خَبْرٍ

مَسَّكَ هُنَاكَ مِنْ أَسْرَارِنَا خَلْدًا؟!

فَنَحْنُ مِثْلُكَ نُسُكًا نَتَوَقُّ إِلَى

وَحْيٍ يُحَرِّرُ مِنْ أَعْمَاقِنَا الْعُقْدَا

مَا زَالَ يُرْعِدُ صَوْتُ الْغَيْبِ فِي دَمِنَا

وَلَمْ يَزَلْ دَمِنَا بِالصَّوْتِ مُرْتَعِدًا

يَا بَيْرِقًا رَكَزَتَهُ فِي رُبِي (هَجْرِي)

يَدُ إِلَهِ، عَلَى الْآفَاقِ مُنْعَقِدًا!

مُؤْمَوْسِقًا كُلَّ رِيحٍ تَسْتَظِلُّ بِهِ

فَتَنَّنِي عَنْهُ لِحْنًا حَالِمًا غَرْدًا

مَا هَفَفَتْ نَسْمَةٌ إِلَّا صَحَا وَتَرَّرُ

فِي الصَّخْرِ، وَانْسَلَّ مِنْ طَبَعِ الْحَصَى، وَشَدَّ

وَاجْتَادَنَا فِي نَشِيدٍ لَا يَغِيبُ لَهُ

صَوْتُ مِنْ الرُّوحِ إِلَّا نَابَ عَنْهُ صَدَى

صَخْرُهُ يُغَنِّيهِ؛ وَزُصْفِي لِالْنَفْفَهَمَهُ

لَكِنْ لَكِي نَتَمَلَّى نَشْوَةَ السُّعَدَا!

وَكَلَّ مَا عَصَفَتْ بِاللَّحْنِ عَاصِفَةٌ

صَارَ النَّشِيدُ سَرَاجًا هَامِدًا بِدَا

قَالَتْ لَنَا (الرَّيْحُ)..و(الْقَنْدِيلُ) مَنْطَفِئُ

لَنْ تُوقِدُوا الْحَبَّ حَتَّى تُطْفِئُوا الْحَسَا!